العـــزاوى

للدكتور جواد علي

سيبلغ صديقي الأستاذ المحامي عباس العزاوي في هذا العام من العمر الخامسة والخمسين ، وإذا ذكر العزاوي في العراق ذكرت الكتب والمكتبات والمخطوطات . فالأستاذ هاو معروف من هواة الكتب القديمة ومن هواة المخطوط ، وقد جمع في بيته مجموعة ثمينة من المخطوط القديمة وهو يحدثك عنها وعن صاحبها وبائعها وكيف وصلت إليه ، وميزات الخط الفلاني وعلاقته بالمخطوط الباقية حديثاً تدرك من خلاله مبلغ حب هذا العالم لكنوز الأجداد الأقدمين .

وهو لا يريد من وراء ذلك مكسباً لأنه لا يتاجر بالكتب ولا بالخطوط ولا بالمخطوطات ، وهو لا يبتغي من وراء ذلك أجراً لأنه ليس بحاجة إلى هذا الأجر . ولا هو في حاجة إلى أحد . ثم هو لا يتبجح بمجموعته الثمينة شأن أغلب أصحاب الكتب والمكتبات والنوادر . يعرضون مايجمعونه على الناس ليقال عنهم إنهم من أصحاب التحف والنوادر والجاه العريق .

والعزاوي من أبعد الناس عن التبجح والظهور فهو لا يعاشر إلا بطانة معروفة من الأدباء هي حاشيته وخاصته وجماعته وهي تعد ؛ ولا يرافق إلا ابنه « فاضل » من مكتبه إلى مقهى « بلقيس » على شارع أبي نواس حيث يجلس قرابة ساعة ثم يعود مع ابنه إلى البيت .

وقد كان يصاحبه أخوه المرحوم المحامي « علي غالب العزاوي » إلى أكثر الأماكن ، وكان أصدقاؤهما يقولون « ما أحب الأخوة » فقد كانا مضرب الأمثال في الأخوة حقاً ، ولكن الجناة أبوا إلا أن يفرقوا بين الأخ وأخيه فقتلوا « علياً » على قضية خسيسة من حطام الدنيا وفرقوا بين عباس وعلي .

وهو لا يعاشر الآن إلا صديقاً واحداً لازمه منذ عرف الحياة وهذا الصديق هو « الكتب والعلم » ونادراً ما تراه وهو بغير كتاب . والكتاب المحبوب إليه هو « كتاب التاريخ » وأحب كتب التاريخ إليه على ما أعتقد هي كتب التاريخ النادرة ولا سيما الكتب التي تبحث عن الفترة المظلمة السوداء وهي « فترة العراق بين احتلالين » وهي فترة مجهولة موحشة تبتدئ بسقوط بغداد على أيدي الغزاة المغول وتنتهي باحتلال الإنكليز لبغداد عام ١٩١٧ للميلاد .

وإذا ما حدثك العزاوي عن هذه الفترة وتبسط معك في الموضوع وسرد لك حوادث الدويلات التركية وأسماء الأمراء الذين حكموا العراق في هذه المدة الطويلة من مغول وأتراك وإيرانيين فهاليك ، فأنا على يقين من أنك ستخرج وتقول : ما هذه الطلاسم والتعاويذ ، ولا بد لك من الاستعانة بقاموس أو بمفتاح يحل لك رموز هذه الشفرة المعقدة التي لا يعرفها إلا القليل من أصحاب هذا العلم .

ولد الأستاذ عباس العزاوي في سنة ١٣٠٨ للهجرة (١٨٩١م) في البادية بين مضارب عشيرة العَزّة ، وقد قتل والده محمد الثامي وهو لا يزال بعد طفل صغير . والعزة قبيلة عربية شهيرة انتشرت في ألوية عديدة من ألوية العراق لا سيما في لواء ديالى ، وترجع في الأصل إلى عشائر حمير من عرب الجنوب وتنتمي إلى قبيلة « زيد الأصغر » المنتشرة في بلاد ما بين النهرين والتي تفرعت إلى عدة فروع ، وتنتمي العزة إلى جدها الأعلى « عزيز » وبه تسمت فقيل لها « أعزة » جمع عزيز ثم « عزة » بالتخفيف .

جيء بالعزاوي سنة ١٣١١ للهجرة (١٨٩٤ م) إلى بغداد فاستقر في هذه المدينة وبها نشأ وترعرع وتثقف . وأتم التحصيل الابتدائي والرشدي على عهد العثمانيين . ثم عكف على دراسة العلوم الشرعية واللسانية على الطريقة العلمية المعروفة في ذلك الوقت فدرس في جامع الخلفاء ، وهو من بقايا جامع الخلفاء العباسيين على المرحوم عبد الرزاق الأعظمي ودرس في نفس الوقت في « مدرسة مرجان العلمية » وهي مدرسة أمين الدين مرجان صاحب الجامع الشهير المعروف « بجامع مرجان » والخان المعروف باسمه أيضاً ، وقد أسست هذه المدرسة على مثال المدرسة النظامية المعروفة في عهد العباسيين ببغداد . وكان أستاذ المدرسة الرجانية هو المرحوم الحاج علي علاء الدين الألوسي وهو من أسرة الألوسيين الأسرة العلمية المعروفة ببغداد .

ودرس فى مدرسة الحيدرخانه « المدرسة النادرية » على العالم الشهير المرحوم السيد محمود شكرى الألوسى صاحب التصانيف الشهيرة فى علوم الدين واللسان . وصاحب « بلوغ الأرب فى أحوال العرب » وهو الكتاب الذى نال عليه الجائزة من المستشرقين الإسكاندنافيين .

وعرفت الأسرة الألوسية بالميل إلى الطريقة السلفية وبالأخذ بمبادئ الدين على طريقة السلف . فتأثر المزاوى على ما حدثنى به بهذه الطريقة فمال وما يزال يميل إليها . وكان المرحوم الحاج على علاء الدين الألوسى هو مرشده ودليله إليها . وكان رحمه الله يشير عليه وعلى أمثاله بأن يكونوا أحراراً فى اختيار المذهب الذى يريدونه وباتباع الطريقة التى يرون فيها صلاحهم على شرط أن يلجوا البيوت من أبوابها ، ومعنى ذلك النظر فى أقوال أصحاب المذاهب وما خلفوه رأساً ، فإذا أرادوا مذهب الشافعى فى الفقه نظروا فى كتاب « الأم » المنسوب إليه . وهكذا . وعلى هذا فإذا أرادوا الدين الصحيح فعليهم بالقرآن ففيه الهدى والفرقان وهو المرجع والأصل . وقد وجد أن طريقة السلف هى أقرب الطرق إلى نفسه وأحبها إليه فاختارها طريقة له .

وقد أجازه المرحوم الحاج على الألوسى بالإجازة العامة فى ٦ جمادى الأولى من سنة ١٣٣٨ للهجرة (١٩٢٠ م) وتتصل إجازة الألوسيين بإجازات علماء الشام ، وعلى ذلك اتصلت إجازة المترجم بسلسلة إجازات علماء الشام . ودخل بعدئذ مدرسة الحقوق وتخرج منها فى سنة ١٣٣٩ للهجرة (١٩٢١ م) ومارس المحاماة وما زال يمارسها حتى الآن .

فدراسة المزاوى إذاً دراسة علمية حقوقية وقد ساعده مسلكه العلمى على تفهم كثير من المشاكل التى تتعرض لها مهنة المحاماة . فكان يغرف من معين الفقه الإسلامى ليستفيد منه فى الفقه العراقى الحديث . وبرز فى الفقهين وامتاز على الأخص فى النواحى التى يلتقى فيها الفقه بالقانون . وتتبع نقاط الخلاف فيما بين الفقهاء ودرس مذاهب قدماء الفقهاء وآراءهم فى الجدل الفقهى مثل آراء ابن أبى ليلى الفقيه الشهير وابن شبرمة . واستفاد من هذه الدراسة الفقهية كثيراً .

واستفاد من حياة المحاماة كثيراً ، فباعتباره محامياً يراجع المحاكم أينما كانت اضطر إلى زيارة أكثر الألوية العراقية وعلى التعرف إلى مختلف طبقات الناس ، وعلى بحث مختلف المشاكل التى تتصل بالفقه والقانون فكان يتهز هذه الفرصة ليرضى بها ميوله العلمية . وكان يغزو الأسواق ليشترى منها النسخ الخطية ويتجسس على أصحاب المكاتب ليتعرف المخطوطات النادرة التى لا يقدرها أصحابها فيبادر هو إليها لتكون فى مكتبته الأمينة وفى بيت أمين يحافظ على هذه الودائع الثمينة .

وكانت مكتبة المرحوم السيد نعمان خير الدين الألوسى هى التى حببت إليه فكرة إنشاء خزانة علمية تكون فردوساً للكتب فصار يقتنى الكتب على نحو ما ذكرت . وصار يضيف إليها العديد النادر من خارج بغداد . ثم لم يكتف بهذا بل دفعه هذا الهيام بالكتب إلى زيارة مكتبات الشام ثم مكتبات الآستانة ، ثم لم يكتف بكل ذلك بل طلب المزيد وهو فى العلم نهم فذهب إلى روسية فالنمسا ليستنسخ أو ليأمر بأخذ صور فتوغرافية لبعض النسخ الخطية النادرة المحتكرة فى خزانات كتب تلك البلاد .

فتجمعت على مرور الأيام فى بيت الأستاذ أوابد الكتب من مختلف المخطوطات ، ثم أضاف إلى هذا القديم شيئاً من الحديث الغض الذى يخرجه المستشرقون فى الغرب وأبناء العالم الإسلامى فى بلاد العروبة وفى بلاد الإسلام فتكونت لديه مكتبة ثمينة حرص على حياتها كل الحرص وتعهدها وما يزال يتعهدها بالتغذية والنظافة والرعاية أكثر من رعايته لنفسه ، وهى عنده بمثابة ولده « فاضل » لها نفس حقوق الولد وزيادة ، يخدمها الأب والابن والأم . ولا أدرى منزلة هذه الكتب من قلب « أم فاضل » فقديماً كانت الكتب والمكتبات أشد وقعاً على قلوب الزوجات من « الضرائر » ولعلها هى كذلك فى نفوس السيدات المتزوجات على الرغم من ثقافة « ستات » القرن العشرين .

وأخذ المزاوى العالم يفاجئ العراق بمؤلفاته وأكثرها فى تاريخ العراق وهى مؤلفات تشهد لصاحبها بسعة العلم وطول الباع وقدرته على الصبر والأناة سلك فيها مسلك علماء الخلافة العباسية . ولست بمبالغ إذا قلت عنه إنه يمثل دور مؤرخى العباسيين فى القرن العشرين . وكتابه « العراق بين احتلالين » وهو سجل جامع لحوادث العراق وقع فى إثنى عشر مجلداً ويشمل حوادث المغول

وتاريخ الجلائريين ثم التركمان ثم حوادث الدولة العثمانية وحروبها مع الإيرانيين فتاريخ المماليك المرونين بالكولات فقترة ما بين علي رضا باشا ومدحت باشا فأيام مدحت باشا فالمشروطية وهو كتاب ضخم مرتب على السنين ، وقد طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى منه بين ١٩٣٥ و١٩٣٩ للميلاد ، وهو خير ترجمان عن علم الأستاذ .

وللعزاوي كتب أخرى مثل كتابه تاريخ اليزيدية وقد طبع في سنة ١٩٣٥ وسيطبعه مرة أخرى بعد أن أضاف إليه زيادات وتنقيحات جديدة . وقد نال التفات صاحب الجلالة المنفور له الملك غازي الأول . ويسكن اليزيدية في شمال العراق في لواء الموصل وهم جد حريصين على ألا تتسرب عقائدهم إلى الخارج ، وعقائدهم على ما يظهر مزيج من مختلف العقائد والأديان . ومثل كتاب « عشائر العراق » وقد طبع الجزء الأول منه وكتاب تاريخ الخط العربي ، وللأستاذ ولع خاص بهذا الموضوع وعنده مجموعة ثمينة من خطوط الخطاطين .

وللمترجم به مؤلفات أخرى مثل كتاب « تاريخ الموسيقى العربية » في عهد المغول والتركمان والعهود التالية لها . وكتاب « التعريف بالمؤرخين من تاريخ ظهور المغول إلى اليوم » . وكتاب « الكاكائية في العراق » وهم نحلة من الغلاة وكتاب « تاريخ الفيليه » وهم من الأكراد ، وكتاب « المعاهد الخيرية في العراق » ويبحث عن الجوامع والمدارس والتكايا ، وكتاب « الأسر العلمية في العراق » ثم « كتاب الأجازات العلمية » .

واتصل الأستاذ أثناء بحوثه هذه بمذاهب الأدب وبالأدباء وتعرف على أدبهم وطرقهم الخاصة في الكتابة والنظم ، وقد دفعه ذلك إلى التأليف في الأدب فألف « تاريخ الأدب التركي في العراق » و« تاريخ الأدب الفارسي في العراق » و« التاريخ العلمي والأدبي » وهو كتاب يبحث في تاريخ العلوم والأدب عند العرب .

هذه هي أسماء الكتب التي ألفها العزاوي حتى الآن ، وقد نشر بعض الكتب الخطية القديمة مثل كتاب « منتخب الثمر المختار في علماء العراق » وهو ذيل لكتاب « تاريخ ابن النجار » انتخبه التقي الفاسي المكي وقد طبعه ببغداد سنة ١٩٣٨ ، ورسالة ابن حنبل في تفضيل الأتراك على سائر الأجناد ، وقد قدم العزاوي لها مقدمة وترجمها الأستاذ التركي محمد شرف الدين رئيس الشؤون الدينية في الجمهورية التركية ونشرها في مجلة « بلله تن » التركية بأنقرة ثم نشرها بصورة مفردة بالقسطنطية .

هذا عدا ما نشره في المجلات العراقية المختلفة وما زال ينشر في مختلف المجلات ، وهو الآن عضو في « نادي القلم العراق » وهو نادي أدبي ببغداد يضم نخبة من الكتاب العراقيين رئيسه معالي الأستاذ الكبير الشاعر العربي الفحل الشيخ رضا الشبيبي رئيس مجلس النواب سابقاً ووزير المعارف في عدة وزارات . وهو محفل يجتمع أعضاؤه بين الحين والحين في بيت عضو من الأعضاء بالتناوب فيتسامرون ويتباحثون ويأكلون ويجمعون بين العلم والأكل ، ولذلك سماه بعضهم « نادي القلم » على سبيل النكتة والمزاح .

وقد انتخبه أصحاب « إسلام ترك أنسكلوبيديسي » أي « دائرة المعارف الإسلامية التركية » عضواً مراسلا ، وانتخبه « المجمع العلمي العربي » بدمشق عضواً مراسلا أيضاً .

وهو الآن عضو في « لجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية » الرسمية وهي لجنة عراقية حكومية رأسمالها حكومي وأعضاؤها من العراقيين المشهورين بالتتبع والبحث لغرض ترجمة الكتب الأوربية الممتازة وتشجيع التأليف وإحياء التراث العربي القديم .

وبعد ، فالمحامي عباس العزاوي من أولئك النفر الذين لا يزال الزمن على سنة العراقيين يؤلفون ويكتبون ويقرأون فمن واجبي أن أكتب عنه .

(بغداد) جواد علي

إدارة البلديات العامة — تنظيم

يطرح مجلس شبين القناطر البلدي في المزاد بطريقة المظاريف بيع ٢٥٠ متراً مكعباً من السماد العضوي وقد حدد ظهر يوم ٥ يناير سنة ١٩٤٦ لفتح المظاريف بديوان المجلس ويجب أن ترفق المظاريف بتأمين ابتدائي قدره ٢ ٪ من قيمتها .

٤٦٣٢